



انتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب الأوسط (الجزائر) قراءة سوسيولوجية  
Allaoua Amara

► To cite this version:

Allaoua Amara. انتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب الأوسط (الجزائر) قراءة سوسيولوجية. Afaq althaqafah wa l-Turath, 2007, 56, pp.25-33. <hal-04078157>

HAL Id: hal-04078157

<https://hal.science/hal-04078157v1>

Submitted on 22 Apr 2023

HAL is a multi-disciplinary open access archive for the deposit and dissemination of scientific research documents, whether they are published or not. The documents may come from teaching and research institutions in France or abroad, or from public or private research centers.

L'archive ouverte pluridisciplinaire HAL, est destinée au dépôt et à la diffusion de documents scientifiques de niveau recherche, publiés ou non, émanant des établissements d'enseignement et de recherche français ou étrangers, des laboratoires publics ou privés.



Distributed under a Creative Commons CC BY-NC-SA 4.0 - Attribution - Non-commercial use - ShareAlike - International License



ریح انعامی شہرا

و بحکمہ الی محرم

سنة حیاتین

واحدین

ردیہ منہا

أخاهو البني

١٢

(عزیز)

أفراق الثقافة والتراث

مجلة  
قصصية  
ثقافية  
تراثية

تصدر عن دائرة البحث  
العلمي والدراسات  
بمركز جامعة الماحد

مجلة  
قصصية  
ثقافية  
تراثية

تصدر عن دائرة البحث  
العلمي والدراسات  
بمركز جامعة الماجد  
للثقافة والتراث

السنة الرابعة عشرة : العدد السادس والخمسون - ذو الحجة ١٤٢٧ هـ - يناير (كانون الثاني) ٢٠٠٧ م

كتاب «رشاد العقل السليم»

لأبي سعود بن محمد العمادي - نسخة مزخرفة



Book of "Rahsad Al Aql A'ssalim"  
by Abi Suod Bin Mohammed Al Emadi - Calligraphic copy

مُتَّحِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ

وَيُحْيِي الْمَيِّتَ وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُخْرِجُ بِهِ الْحَبَّ وَالنَّخْلَ وَالزَّيْتُونَ وَالْأَنْجَارَ وَالْأَعْنَابَ وَالزَّيْتُونَ وَالْأَنْجَارَ وَالْأَعْنَابَ وَالزَّيْتُونَ وَالْأَنْجَارَ وَالْأَعْنَابَ

من السلا





تصدر عن قسم الدراسات والمجلة  
بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

دبي . ص.ب. ٥٥١٥٦  
هاتف ٩٧١ ٤ ٢٦٢٤٩٩٩  
فاكس ٩٧١ ٤ ٢٦٩٦٩٥٠

دولة الإمارات العربية المتحدة  
البريد الإلكتروني: info@almajidcenter.org

# آفاق الثقافة والتراث

مجلة  
فصلية  
ثقافية  
تراثية

السنة الرابعة عشرة : العدد السادس والخمسون - ذو الحجة ١٤٢٧ هـ - يناير (كانون الثاني) ٢٠٠٧ م

## هيئة التحرير

مدير التحرير  
د. عز الدين بن زغبية

سكرتير التحرير  
د. يونس قدوري عويد

## هيئة التحرير

أ.د. حاتم صالح الضامن  
د. محمد أحمد القرشي  
د. أسماء أحمد سالم العويس  
د. نعيمة محمد يحيى عبدالله

## رقم التسجيل الدولي للمجلة

رمد ٢٠٨١ - ١٦٠٧

المجلة مسجلة في دليل  
أولريخ الدولي للدوريات  
تحت رقم ٣٤٩٣٧٨

المقالات المنشورة على صفحات المجلة تعبر عن آراء كاتبها  
ولا تمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو المركز الذي تصدر عنه  
يخضع ترتيب المقالات لأمر فنية

خارج الإمارات	داخل الإمارات	
١٥٠ درهم	١٠٠ درهم	المؤسسات
١٠٠ درهم	٧٠ درهماً	الأفراد
٧٥ درهماً	٤٠ درهماً	الطلاب

الإشتراك  
السفوي

# انتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب الأوسط (الجزائر) قراءة سوسيولوجية

د. علاوة عمارة  
قسنطينة - الجزائر

في بداية القرن السادس الهجري، أصبح الانتماء الجغرافي لبلاد الغرب الإسلامي بمنزلة المعيار الأساسي لتحديد مالكية ساكنه، وهذا بفضل الانتشار الكبير لفقه إمام دار الهجرة. لكن هذا لم يكن سهلاً أمام بقية الجماعات الفقهية والعقدية الأخرى، التي كانت السبابة إلى التموقع في عاصمة ولاية إفريقية خلال العهد الأموي ثم السنين الأولى لخلافة بني العباس. ومن هنا نتساءل عن الأسباب الحقيقية التي أدت إلى تقبل مجتمعات المغرب الأوسط للآراء الفقهية المالكية: هل لأن طبائع أهله البدوية تتلاءم مع أسس مذهب أهل الحجاز الذي نشأ في بيئة تقليدية قريية من طبائع سكان المغرب كما زعم ابن خلدون؟ أو هو نتيجة إرادة للسلطة السياسية والمجموعات الاجتماعية الفاعلة؟ أو أنه راجع إلى مجهودات حملة أفكار المذهب، وعلى رأسهم من انضموا إلى الجيل الأول؟

تمكنت الخلافة الأموية من بسط نفوذها على قسم كبير من بلاد المغرب. وجعلت من إفريقية مركز ثقل الوجود الإسلامي بالمنطقة، في حين بقيت بلاد البربر التي ستعرف ثلاثة قرون من بعد ذلك باسم المغريين الأوسط والأقصى - تعيش على هامش الأحداث التي جرت في دار الإسلام إلى غاية النصف الأول من القرن الثاني الهجري، أين وصلت إليها الأفكار السياسية الثورية الخارجية،

هذه التساؤلات تقودنا للحديث عن الطبيعة السوسيولوجية للمجتمعات القبلية ببلاد المغرب، وتتبع ظاهرة نشأة الجماعات الدينية وأفولها، السنية منها والخارجية، للوصول في الأخير إلى دراسة كيفية تحول مجموعة اجتماعية ذات صبغة فقهية من أقليتها إلى غالبية عظمى في المجتمع.

## ثلاثة قرون من التيه والصراع

بعد أكثر من سبعين سنة من عمليات الفتح،

التي وجدت في المجتمعات القبلية الريفية المناخ المناسب لتكوين حركة معادية لنظام الخلافة الأموية القائم على أساس أفضلية العنصر العربي<sup>(١)</sup>. لقد اعتنقت العناصر والقبائل البربرية أفكار الخوارج الصفورية والإباضية للمطالبة برفع الضرائب المفروضة عليهم من قبل ممثل نظام الخلافة بالقيروان والمشاركة في تسيير شؤونهم. إن تعود المجتمعات الريفية البربرية على العيش بحرية، وعلى رفض نظام الدولة المركزية، كانت من أسباب الإقبال الواسع لها على اعتناق مذاهب المعارضة الخارجية. لقد تحولت المجموعتان السياسيتان الإباضية والصفورية إلى تحالفات شعبية قبلية، واستطاعتا أن تكسبا تأييداً شعبياً واسعاً بفعل مناداتهما بتطبيق مبدأ الشورى والمساواة الاجتماعية بين العرب والبربر. وتحول نضال المجتمعات القبلية الريفية إلى حركة مسلحة ضد رموز نظام الخلافة بإفريقية والمغرب الأوسط (الجزائر)، بعد إخفاق بعض المساعي السلمية لمجموعة الصفورية؛ لحمل الخلافة على مراجعة سياستها ببلاد المغرب ومحاسبة الولاة المتهمين بممارسة السياسة الحديدية ضد الرعية<sup>(٢)</sup>. ولهذا أعلن الزعيم الصفوري المطفري ميسرة السقاء الجهاد ضد ممثلي سلطة أهل السنة والجماعة<sup>(٣)</sup>، فدخلت بذلك بلاد المغرب الأوسط وإفريقية في فوضى عارمة، عصفت بأركان ولاية إفريقية الأموية، وأبادت أشراف العرب بنواحي الشلف، وأدخلت المنطقة في جو رهيب متميز بغياب سلطة حاکمة وانتشار الفوضى. وانفصلت بلاد المغرب عن سلطة العباسيين الذين خلفوا بني أمية في الحكم، ولم تتمكن بغداد العباسية من الحفاظ على الوجود السني، ولو من الناحية السياسية، إلا بإفريقية،

بفضل أسرة الأغالبة<sup>(٤)</sup>، التي تحكمت في الأمور ودافعت عن نظام الخلافة.

سارت الأمور بالمغرب الأوسط في اتجاه آخر، حيث تمكنت التيارات المعارضة من بسط نفوذها، وتبنت العديد من المجتمعات القبلية أفكارها، بل نجح بعضها في تكوين كيان سياسي، تمثل في حكم أسرة الرستميين بتاهرت<sup>(٥)</sup>، التي ما لبثت أن أحرقت الفكرة الإباضية بفعل تحويل أبناء عبد الرحمن بن رستم لنظام الإمامة الشوري إلى وراثي، وتمكن العلويون الطالبيون من تكوين نظام الإمارة - المدينة في عدة مدن بالمغرب الأوسط وعلى الخصوص بحمزة (البويرة)، ومتيجة، والخضراء، ومليانة، وتلمسان<sup>(٦)</sup>..... وبهذا حقق تيار التشيع الزيدي نجاحاً في وسط المجتمعات الحضرية، في حين لقي معارضة من طرف المجتمعات الريفية الفلاحية، المعتادة على رفض الحكومات المركزية، والمستعدة للثورة دفاعاً عن حريتها، وهذا ما وجدته في أفكار تيارات الخوارج. لقد أصبحت بلاد المغرب في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري فسيفساء من المجموعات السياسية والعقدية، من إباضية، وصفورية، وواصلية، ومعتزلة، وزيدية. وشكلت بذلك المعقل الرئيس لتيارات المعارضة لمجموعات "أهل السنة والجماعة".

وفي خضم هذا التشتت المذهبي والسياسي وصلت إلى القيروان وبلاد الزاب أفكار المذاهب الفقهية المقربة من نظام الحكم السني، وهذا عن طريق الشخصيات المشرقية التي وردت إلى بلاد المغرب وبوساطة رحلات العلم والحج<sup>(٧)</sup>. ويعتد المذهب الحنفي السباق من الناحية الزمنية، وهو ما أشار إليه القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ / ١١٥٠م) في كتابه "ترتيب المدارك وتقريب المسالك

لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك". لقد انتشرت الرؤية الحنفية في الفقه بالقيروان، وبواحات بنطوس ببلاد الزاب، لكن النخب المشكلة لهذه المجموعة الفقهية، التي عاشت في ظل دولة الأغلبية الأحناف، سرعان ما تنكرت لمذهب العراق، ولفكرة دولتهم، التي سقطت في يد الإسماعيليين الشيعة، واعتنقت التشيع الإسماعيلي، وهو مذهب الدولة الجديدة، وهي الخلافة الفاطمية<sup>(٧)</sup>. لقد انهار البناء الفقهي الحنفي، ولم يبق من أوفياء له في نهاية القرن الخامس الهجري إلا أهل تهودة (سيدي عقبة)<sup>(٨)</sup>.

لم يكن المذهب الحنفي وحده من واجه الجماعات السياسية والعقدية المعارضة بالمغرب الأوسط، بل تسلسل إلى هذا الأخير العديد من الأفكار التي أدت إلى تشكيل مجموعات عقدية، تركت بصماتها في التاريخ. وتعدّ المعتزلة<sup>(٩)</sup> والواصلية من بين هذه التيارات التي وجدت ضالتها في التجمعات السكانية المجاورة لتاهرت الإباضية، حيث تمكن حملة أفكارهم من التغلغل في المغرب الأوسط في عهد الإمارات العلوية، بعدما تمكن إدريس بن عبد الله من تشكيل حكم سياسي مركزي بالمغرب الأقصى<sup>(١٠)</sup>. ويعدّ عبد الله بن حارث من أوائل دعاةهم، الذين وفدوا من المشرق إلى بلاد المغرب<sup>(١١)</sup>. وقد قوبل مذهب الاعتزال وأفكار واصل بن عطاء برفض مطلق من طرف القيادات الفقهية المالكية والحنفية، ويعدّ كل من عبد الله بن الفروخ الفارسي (ت ١٨٥هـ/ ٨٠١م) وعبد الله بن غانم (ت ١٩٠هـ/ ٨٠٦م) من رواد المالكية المغربية، ممن اشتهروا بمقاومة تيار الاعتزال<sup>(١٢)</sup>.

ولئن تمكنت المذاهب السنية من الانتشار بحواضر السلطان بإفريقية، فإن المغرب الأوسط

عرف انتشارًا ملحوظًا لأفكار المعتزلة والواصلية، حيث تركزوا بنواحي تاهرت، حيث اعتنقت أقسام من المجتمعات الريفية المنتمية لبطون زناتة ومزاتة هذه المذاهب<sup>(١٣)</sup>. كما تمكنت بعض أفكار الواصلية من الانتشار في واحدة من الواحات الثلاث المكونة لبنطوس<sup>(١٤)</sup>، وبلاد مصعب (ميزاب)، إلى غاية سنة ٤٠٩هـ/ ١٠١٨م، حيث تمكن أبو عبد الله محمد بن بكر النفوسي من إقناعهم باعتماد الإباضية الوهبية<sup>(١٥)</sup>. وسبق لبعض المجموعات القبلية الوفية للاعتزال أن تفككت بفعل قيام الجيوش الفاطمية بإخضاع الكثير من مناطق المغرب الأوسط، وقضت بذلك على نفوذ قيادات الاعتزال في النصف الأول من القرن الرابع الهجري.

لقد وجدت القيادات المالكية في الأشعرية خير منهج عقدي في الدفاع عن عقيدة "أهل السنة والجماعة"، ولهذا نجد أن ابن أبي زيد القيرواني (ت ٢٨٦هـ/ ٩٩٦م)، وأبا الحسن القاسبي (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٣م) يستقبلان بحفاوة أفكار أبي الحسن الأشعري (ت ٢٢٤/ ١٠٢٢م)، وهذا ما أعطى للمالكية القروية ديناميكية لمقاومة "الأهواء والبدع"<sup>(١٦)</sup>. إن انتشار العقيدة الأشعرية في الوسط المالكي جعلها عرضة للانتقام الجماعات الإباضية، التي أبادت جماعة من الأشاعرة بواحات وارجلان في مطلع القرن السادس الهجري<sup>(١٧)</sup>.

### إخفاق المشروع الفكري الإسماعيلي

حمل أعضاء التنظيم الإسماعيلي<sup>(١٨)</sup> ببلاد المغرب اسم الروافض، وهو من إطلاق مجموعات أهل السنة. وتمكن أبو عبد الله الإسماعيلي من نشر مذهب ببلاد كتامة، بعيدًا عن السلطة السياسية الأغلبية وجماعات الأحناف والمالكية بالقيروان. وبعد صراع مسلح تمكن من تكوين



نظام سياسي إسماعيلي - نصب على رأسه عبد الله المهدي- الذي حكم بلاد المغرب إلى غاية سنة ٢٦٢هـ/٩٧٢م، عندما قرر المعز لدين الله - رابع الخلفاء - الرحيل والاستقرار بمصر، وكان هذا بسبب رفض المجتمعات القبلية الريفية والمجتمع الحضري بإفريقية فكرة التشيع<sup>(١٩)</sup>. وتعدّ ثورة أبي يزيد المحتسب الملقب بصاحب الحمار (ت ٣٣٦هـ/٩٤٧م) أهم حركة بربرية مقاومة لتيار التشيع، تحت لواء المذهب الإباضي النكاري. وقد حظيت هذه الثورة بدعم جناح المالكية الثورية بقيادة الفقيه الممسي والعديد من رفاقه، بعدما نجح هذا الثائر الإباضي في السيطرة على مدينة القيروان التاريخية<sup>(٢٠)</sup>. ولم يخف القاضي النعمان بن محمد، أشهر قضاة إفريقية الإسماعيليين، ومستشار خلفائهم، غضبه تجاه سكان القيروان، الذين "ورثوا"، حسب زعمه، المذهب المالكي<sup>(٢١)</sup>. ولم يستثن إلا المجموعات القبلية التابعة لكتامة وصنهاجة بمساندتهم شبه المطلقة للخلفاء الفاطميين إلى غاية استقرارهم بالقاهرة<sup>(٢٢)</sup>.

لقد أدّت مقاومة الفكرة الإسماعيلية إلى انتشار محدود لها، على الرغم من من نجاحها السياسي والعسكري، واقتصرت نفوذها على حاضرة الخلافة، وبلاد كتامة، ونفطة وبعض واحات بلاد قسطنطينية<sup>(٢٣)</sup>.

نتج عن رحيل الفاطميين إلى مصر تفتيل مجموعات الإسماعيلية ببلاد المغرب، بداية من المجازر التي ارتكبها ضدهم القائد حماد بن بلكين الصنهاجي (٣٩٥-٤١٩هـ/ ١٠٠٤-١٠٢٩م)، مؤسس السلالة الحمادية بالقلعة<sup>(٢٤)</sup>، ثم انتقلت المجازر إلى مدن إفريقية كالقيروان والمهدية<sup>(٢٥)</sup>، وهذا بمباركة القيادات الفقهية

المالكية والسلطة السياسية الصنهاجية. هذا الوضع أدى بفقيه تونس الشهير أبي إسحاق إلى رفض أسلوب التقتيل الجماعي، ودعا إلى التفريق بين "الروافض" الذين لا ينكرون سياسة خلفاء الرسول (ﷺ) ويرون أنّ علي بن أبي طالب أولى بالخلافة وبين الذين يطعنون فيهم، ومن ثمّ تحريم القتل الجماعي لمجموعات الإسماعيلية. وهذا ما جعل أبا إسحاق التونسي عرضة لانتقادات المرجعيات المالكية بالقيروان والأندلس والمشرق<sup>(٢٦)</sup>. تواصلت المجازر ضد الإسماعيليين طوال الربع الأول من القرن الخامس الهجري، وفرّ الكثير من هؤلاء إلى جبال الأوراس، ولم يمض وقت طويل حتى لاحقتهم الإبادة الجماعية سنة ٤٠٩هـ/١٠١٩م، وهذا بمدينة باغاية، وقتل بها الكثير، منهم الشاعر الإسماعيلي البربري ميمون بن عبد الله الهواري<sup>(٢٧)</sup>. وبعد الرقيق القيرواني أشهر مؤرخي بلاد المغرب خلال خمسة القرون الأولى للهجرة، آخر ضحية لعمليات التصفية الجسدية لحملة الفكرة الإسماعيلية، حيث أعدم سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م، بقرار من الأمير المعز بن باديس الصنهاجي لتنتهي بذلك إحدى صفحات التشيع ببلاد المغرب<sup>(٢٨)</sup>.

### الوحدة المذهبية: المالكية من النخبوية إلى المذهب الرسمي للدولة

من الخطأ عدّ الحنفية المذهب الغالب في بلاد المغرب قبل حدوث القطيعة المذهبية بين الأمير الصنهاجي المعز بن باديس وخليفة القاهرة الإسماعيلي، كما ذهب إلى ذلك الإخباري الأمير عز الدين بن شداد الصنهاجي (ت بعد ٦٠٠هـ/١٢٠٤م)<sup>(٢٩)</sup>؛ لأنّ جماعات المالكية بدأت بإرساء قواعدها بفضل جهود جيل من الفقهاء الأوائل من أمثال علي بن زياد (ت ١٨٣هـ/٧٩٩م)،

وابن أشرس (ت ١٧٠هـ/٧٨٧م)، والبهلول بن راشد (ت ١٨٣هـ/٧٩٩م)، وأسد بن الفرات (ت ٢١٣هـ/٨٢٨م). على الرغم من أن السلطة السياسية بالقيروان (الأغالبة) كانت في هذه الحقبة حنفية، والسلطات المتمركزة بالمغرب الأوسط تراوحت بين الإباضية بتاهرت والزيدية بالعديد من المدن، وخصوصًا بحمزة وتلمسان. لقد انتشر المذهب المالكي تدريجيًا عن طريق تدريس موطأ مالك بن أنس، وأخذ بعدًا أكثر أهمية لدى النخب الحضرية زمن سحنون بن سعيد التنوخي (ت ٢٤٠هـ/٨٥٥م) عندما تمكن من شغل منصب قاضي إفريقية لفائدة العائلة الحنفية الحاكمة، وقرر اعتماد المذهب المالكي، ومنع الإفتاء بآراء المذاهب الأخرى. لقد ساهم بمدونته في إعطاء دفع كبير لسكان المغرب قصد التشريع بمذهب الإمام مالك. ويعدّ ابن أبي زيد القيرواني (ت ٢٨٦هـ/٩٩٦م) بمنزلة الناشر الحقيقي لأفكار المالكية في الأوساط الشعبية من خلال تكوينه للعديد من التلاميذ وتأليفه "للمسألة" و"النوادر والزيادات" اللتين أعطتا ديناميكية كبيرة في مواجهة تيار التشيع. تمكن ابن أبي زيد، بوصفه من السكان الأصليين للمنطقة (بربر نفزة)، من توطيد أركان مذهب مالك وراعى خصوصية المجتمعات القبلية الريفية، من خلال قبوله للعرف المحلي مصدرًا للتشريع للكثير من المجتمعات الريفية القبلية<sup>(٣٠)</sup>.

بعد الحضور الضعيف لمجموعات المالكية بتيهت الرستمية، عمل أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي (ت ٤٠٢هـ/١٠١٢م) - صاحب كتاب الأموال - على نشر مبادئ المذهب المالكي بمدن المسيلة وتنس وتلمسان، وهو ما سمح بوضع أسس صلبة للمالكية ببلاد المغرب الأوسط<sup>(٣١)</sup>. لقد

ساهمت الهزيمة العسكرية للإباضية في مواجهة الجيوش الفاطمية في تحول الكثير من المجتمعات القبلية نحو مذهب إمام دار الهجرة، وأصبح المغرب نهاية القرن الرابع الهجري في معظمه مالكيًا، كما تدل على ذلك شهادة الرحالة المقديسي (ت بعد ٣٧٧هـ/٩٨٨م)<sup>(٣٢)</sup>. لقد أعطت نشاطات فقهاء المالكية وتأليفهم، الديناميكية الأساسية لحمل نظام الحكم الصنهاجي على إحداث قطيعة سياسية ومذهبية مع القاهرة الإسماعيلية سنة ٤٤٣هـ/١٠٥٢م<sup>(٣٣)</sup>.

ويمثل فترة بناء قلعة بني حماد زمن الاستقرار النهائي للمذهب المالكي في معظم مدن المغرب الأوسط، نتيجة للإرادة السياسية للسلطة الحمادية من جهة ومجهودات فقهاء المالكية، وعلى رأسهم أبو حفص عمر بن الحسين الصابوني من جهة ثانية، الذي أصبح رأس المدرسة المالكية بالمنطقة<sup>(٣٤)</sup>. وحدث خلال هذه المدة تقارب بين السلطة السياسية والعسكرية الممثلة بالعائلة الحمادية وسلطة الفقهاء من خلال توظيف الكثير منهم في الوظائف القضائية. تشكلت المدرسة المالكية بالمغرب الأوسط في عهد الحماديين بوساطة التمازج الذي حدث بين القيادات الفقهية، التي نزحت من القيروان، واستقرت بقلعة بني حماد، وبين طلبة المغرب الأوسط، الذين درسوا بمدينة سبتة على يد الفقيه ابن العجوز السبتي. وقد تزعم عبد الجليل الربيعي القيرواني التيار الأول، في حين اشتهر من المجموعة الثانية كل من أبي حفص عمر بن الحسين الصابوني المالكي وأبي القاسم بن أبي مالك. وبعد بناء قلعة بني حماد سنة ٤٥٧هـ - ١٠٦٥م انتشر المذهب المالكي بشكل واسع في بلاد زواوة (القبائل الكبرى) بعد استقرار العديد



من القيادات الفقهية المالكية بالمدينة كعبد الحق الإشبيلي، المعروف بابن الخراط ( ٥٨١هـ / ١١٨٥م )، الذي أصبح "شيخ المنطقة" (٢٥).

بعد الانتشار في شمال المغرب الأوسط واصلت المالكية اكتساحها لمعازل جماعات الإباضية، حيث نجحت تدريجياً في ضم الكثير من القبائل الإباضية إلى صفوفها في بلاد الزاب وقسطيلية ووارجلان، وخير دليل على ذلك اعتناق سكان مدينة الحامة ببلاد الجريد جماعياً المذهب المالكي، بعدما كانوا إباضية نكارية (٢٦). ولم ينجح أتباع مذهب جابر بن زيد إلا في الحفاظ على جزء صغير من نفوذهم بوارجلان وأسوف (واد سوف)، وخصوصاً ببلاد مصعب (ميزاب)، حيث لجأوا إلى هناك، وبنوا مدن العطف وبنورة وبنو يسجن وغرادية ومليكة (٢٧).

إن قراءة كتب النوازل الخاصة ببلاد المغرب الأوسط تبين لنا كيف تمكن فقهاء المالكية من فرض أنفسهم وسط مجتمعات بربرية ريفية، وبالتوفيق بين مبادئ المذهب و"العادة" أو "العرف"، وبهذا أصبح العرف مصدراً للتشريع بالمغرب الأوسط. لدينا مثال مهم، هو أن العرف أقصى المرأة البربرية من كل حق إرث في القرن الخامس الهجري، ولم تحتج على ذلك المرجعيات الفقهية المالكية ببجاية، إلى أن أصدر الفقيه التلمساني أبو سالم إبراهيم العقباني فتوى أنكر فيها موقف الفقهاء المالكية من إسقاط حكم شرعي (٢٨). وبهذا يرجع نجاح المالكية في الانتشار إلى تدريس تأليفها، وإلى دعم جهاز الحكم لهذا المذهب، حيث التقليد أحد سماته، وأخيراً عدم الاعتراض أحياناً على التشريع العرفي، ومن ثم المحافظة على خصوصية المجتمعات الريفية البربرية. ■

### الحواشي

١- هناك عدة دراسات أنجزت حول حركات البربر الخوارج بمقاربات تراوحت بين تقليدية ومادية جدلية، مثال على ذلك، المغرب الإسلامي من بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج، الخوارج في المغرب الإسلامي.

٢- الكامل في التاريخ: ٤٥/٣.

٣- أنجزت عدة دراسات حول الأسرة الأغلبية بإفريقية منها دراسة محمود إسماعيل، الأغلبية وعلاقاتهم الخارجية ودراسة كل من محمد الطالبي وفارنهاردايم. انظر:

M. Vonderheyden, La Berberie orientale sous la dynastie des Benom- I-Arlab (800-909), Paris, Librairie orientaliste Paul Geuthner, 1924; Mohamed Talbi, L'Emirat oghlabide (184-296L800-909), histoire politique, Paris, Librairie d'Amerique et d'Orient Andreien Maisonneuve, 1966.

٤- الدولة الرستمية (١٦٠-٢٩٦/٨٧٧-٩٠٩)، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، وينظر كذلك: Brahim Zarouki, L'imamat de Tahart, premier Etat musulman dm Maghreb (144-296 de l'he-gire).

٥- كتاب البلدان: ٢٥١، جمهرة أنساب العرب: ٣٩.

٦- حول دور رحلة طلب العلم، انظر الدراسة الأنثروبولوجية والتاريخية لهواري تواني.

Houari Touati, Islam et voyage am Moyen Age, Paris, Seuil. 2000.

٧- Hady Roger Idris, "Contibution a l'histoire de la vie religieuse en iffiqiya zinde X-XIe secles" dans Melanges Louis Massignon, Damas, Institut fran-cais de Damas, 1957, voll, P.327-359.

٨- المسالك والممالك، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب: ٧٢.

٩- من أقدم التعريفات للمعتزلة نجد ما كتبه عبد القاهر البغدادي، الملل والنحل، وقد درس من طرف المستشرق الفرنسي هنري لاووست.

Henri Laoust, " La classification des sects dans le Farq d' al ñ Baghdadadi" dans Revne des Etudes Islamiques, XXXIX-1,(1961) p.32.

ويعدّ دانيال جيماري من بين أهم من درسوا الاعتزال، وله العديد من الدراسات منها:

Maghrib" dans L' Egypt fatimide, san art et son histoire, Actes du colloque organize organize a Paris les 28,29 et 30 mai 1998, Paris, Oresses de l' Universite de paris - Sorbonne, 1999, p.97-101, Roger Le Tournean , " La revolte d'Abu Yazid an Xe siecle" dans Cahiers de Tunisie, II (1953), p.103-125; Marius Canard , " Une famille de partisans, puis d' adversaries des Fatimides em Afrique du Nood" dans Melanges d'histoire et de archeologie de l' Occident musulman (Hommage a Georges Marcais), Paris, Imprimerie officelle, 1957, vol II, p.33.

٢١- المجالس والمسائرات: ٩٧.

٢٢- المصدر نفسه: ٩٦.

٢٣- الروض المعطار في خير الأقطار: ٥٧٨.

٢٤- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر: ١٧١ / ٦.

٢٥- الكامل: ٢٩٤ / ٩ - ٢٩٥.

٢٦- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك: ٧٦٦ / ٢ - ٧٦٨.

٢٧- أنموذج الزمان في شعراء القيروان: ٢ / ٢٨٦ - ٢٨٨.

٢٨- الرقيق القيرواني وبلورة الفكر التاريخي ببلاد المغرب، التاريخ العربي: ١١١ - ١٤٤.

٢٩- ينحدر هذا الأمير من البيت الباديبي بالمهدية، عاصر آخر أمرائه ثم رحل إلى صقلية النورمانية وشارك في فتح تونس مع عبد المؤمن بن علي، ثم استقر بدمشق، وتقرب من السلطان صلاح الدين الأيوبي، وأصبح من أمراء الجيش الذين قادوا العمليات الجهادية ضد النصارى الصليبيين. له من الكتب " الجمع والبيان في أخبار القيروان" الذي اعتمد عليه كل من ابن الأثير وابن خلكان والذهبي والمقرئزي والصفدي في كتابه تاريخ المغرب والحديث عن انتماء أهله للمذهب الحنفي. للمزيد من التفاصيل يراجع مقالنا " ابن شداد الصنهاجي جامع أخبار المغرب الوسيط" مجلة التاريخ العربي: ٢١ / ٦٧ - ٩٦.

٣٠- وهذا ما نلمسه من خلال قراءة للرسالة وللعديد من النوازل التي حفظت في جامع مسائل الأحكام للبرزلي والمعيار للونشريسي. وانظر صورة ابن أبي زيد لدى أحد معاصريه المشاركة، وهو ابن النديم في الفهرست: ٢٥٠، وصورته لدى مشرقى آخر متأخر: الذهبي في كتابه الموسوم بالعبر في خبر من غير: ٤٣ / ٢ - ٤٤.

٣١- ترتيب المدارك: ٦٢٢ / ٢، فهرسة ابن خير: ١٠٧ / ١.

٣٢- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: ٢٣٦.

Daniel Gimaret, " Les Usul al-khamsa du Qadi' Abd al-Gabbar et leurs commentaries" dans Annales islamologiques, XV, (1947) p. 47-96.

١٠- كتاب المقالات في مجموع، كتاب فضائل الاعتزال وطبقات المعتزلة: ١٠٩ - ١١٠، الملل والنحل: ٢٢، حول الإمارة الإدريسية، انظر كتاب أعلام الأعلام فيمن يبيع من ملوك الإسلام قبل الاحتلال، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط: ١٨٨ - ٢١٧.

١١- كتاب طبقات المعتزلة: ٣٢.

١٢- لمزيد من التفاصيل حول الاعتزال بإفريقية والمغرب ينظر: الصراع المذهبي بالقيروان وتفاعله مع واقعها الاقتصادي والاجتماعي إلى منتصف القرن ١١ / هـ، حوليات الجامعة التونسية، ٤٤: ١٨١.

Mohamed Talbi , " De l'I'tizal en hfiqiya au III/IXe secle" dans Revue tunsirne des sciences sociales, 40-43,(1975),p. 45-85.

١٣- كتاب صورة الأرض: ٩٤.

١٤- المسالك والممالك

Allaous Amara, Pauvoir, economie et societe - ١٥ dans le Moghreb hommadide (395-547/1004-1152), These de doctorat, Universite Paris I Sorbonne, 2002, vol. II, p. 579-581.

Hady Rger ibris, La Berberie arientalie sous les Zirides X-XIIe Siecles, Paris, Maisonneuve, 1962, voll. II, p.700-721; Id " Essai sur la diffiusion de l'as arisme en Ifri" dans de Tunisie, 2, (1953) p.139.

١٧- كتاب طبقات المشائخ بالمغرب: ٤٧٣ / ٢ - ٤٧٢. كتاب السير: ٤٢٨.

١٨- ينتمي المذهب الإسماعيلي القائم ككل الفرق الشيعية على أساس الإمامة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، وقد لخص أبو يعقوب إسحاق بن أحمد السجستاني في كتابه الافتخار، المبادئ العامة لهذا المذهب.

Hanz Haim, The Empire of the Mahdi the Rise of the Fatimids, traduit de l'allaemand par M. Bonner, Leyde, e.J. Brill, P. 315-323; Michael Brett, The Rise of the Fatimids, The World of the Medikerranean and middle East in the Fourth Century of the Hijra, Teath Ceatury C E, Leyde-Boston-Koln, Brill, 2001.

٢٠- حول هذه الثورة انظر على سبيل المثال، مصادر ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد، أعمال الملتقى الأول لتاريخ وحضارة المغرب: ١١٣ - ١٢٩.

Wilfred Madelung, " The Religions Policy of the Fatimids toward their Sunni Subjects in the



H.R. Idris, "L'aube du Malekisme ifriqien" dans *Studia Islamica*, XXXIII (1971), p. 40.  
Mohamed Talbi, "Kairouan et le Malikisme espagnol" dans *Etudes d'orientalisme dediees a la memoire de Levi nProvencal*, Paris, 1962, reed. Dans *Ettudes d'histoire ifriqueune et de civilization musulmane medievale*, Tunis, Publications de l'Universite de Tunis, p.302-308.

٢٤- ترتيب المدارك: ٧٧٨/٢.

٢٥- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية: ٤١.

٢٦- كتاب طبقات المشائخ بالمغرب: ٢ / ٤٨٤.

### المراجع العربية:

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، لأبي عبد الله محمد المقديسي، نشر دوجيوج، فرانكفورت، ١٩٩٢م.
- الافتخار، لأبي يعقوب إسحاق بن أحمد السجستاني (ت ٩٧١/٣٦١)، تح. إسماعيل بانوولة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٠م.
- أنموذج الزمان في شعراء القيروان، لابن رشيق القيرواني (ت ١٠٦٨/٤٦٠)، جمع محمد العروسي المطوي وبشير البكوش، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٦م.
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض السبتي (ت ١١٥٠/٥٤٤)، تح. بكير محمود، ج ٢، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٧م.
- جمهرة أنساب العرب، لابن حزم الأندلسي (ت ١٠٦٤/٤٥٦)، نشر ليفي بروفنسال، مطبعة المعارف، القاهرة، ١٩٤٨م.
- الخوارج في المغرب الإسلامي، لمحمود إسماعيل، مكتبة مدبولي، دار العودة، ١٩٧٦م.
- ابن شداد الصنهاجي جامع أخبار المغرب الوسيط، لعلاوة عمارة، التاريخ العربي، ٢١ (٢٠٠٢): ٦٧-٩٦.
- الدولة الرستمية (١٦٠-٨٧٧/٢٩٦-٩٠٩)، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، لإبراهيم بحاز، لا فوميك، الجزائر، ١٩٨٥م.
- الصراع المذهبي بالقيروان وتفاعله مع واقعها الاقتصادي والاجتماعي إلى منتصف القرن ١١هـ/١١م، لنجم الدين الهنتاتي، حوليات الجامعة التونسية (٢٠٠٠): ١٧٥-٢١٣.
- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء المائة السابعة ببجاية، لأبي العباس أحمد الغبريني (ت ١٣٠٤/٧٠٤)،

٢٧- حسب الروايات الإباضية تمّ بناء هذه المدن بين ١٠١٢/٤٠٢ و ١١٢٢/٥٠٠. لمزيد من التفاصيل ينظر: وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية: ٦٦-٦٧، وقد تطرق العديد من المستشرقين إلى هذه النقطة.

M.Mercier, "Mzab" dans *Encyclopedie de l'Islam*, nouvelle edition, Leyde, Brill, vol. VII, p.827-829; Jean Despois, "Ghardaya" dans *Encyclopedie de l'Islam*, nouvelle edition, Leyde, Brill, vol. VII, p.1033-1034.

٢٨- فتوى أبي سالم إبراهيم العقباني في المعيار للونشريسي: ١١/٢٩٣-٢٩٤.

- نشر عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩م.
- الفهرست، لأبي الفرج محمد بن إسحاق ابن النديم، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٤م.
- الفهرسة، لابن خير الإشبيلي (ت ١١٧٥/٥٧٥)، نشر إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٩م.
- الكامل في التاريخ، لعز الدين ابن الأثير (ت ١٢٢٣/٦٣٠)، ج ٩، دار بيروت، بيروت، ١٩٨٢م.
- كتاب أعمال الأعلام فيمن بويغ من ملوك الإسلام قبل الاحتلال، لابن الخطيب السلماي (ت ١٢٧٥/٧٧٦)، نشر القسم الخاص بالمغرب، أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٦٤م.
- كتاب البلدان، لليعقوبي (ت ٩٩٨/٢٨٤)، نشر دوجواز، ط ٢، معهد العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، ١٩٩٢م.
- كتاب صورة الأرض، لابن حوقل النصيبي (ت بعد ٩٧٨/٣٦٧)، بيروت.
- كتاب طبقات المعتزلة، لحسن أحمد بن يحيى المرتضى (ت ١٤٣٧/٨٤٠)، نشر زوزان ديوالد ويلزر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦١م.
- الروض المعطار في خبر الأقطار، لابن عبد المنعم الحميري (ق ٨هـ)، تح. إحسان عباس، دار الحياة، بيروت، ١٩٨٠م.
- الرقيق القيرواني وبلورة الفكر التاريخي ببلاد المغرب، لعلاوة عمارة، التاريخ العربي، ٢٥ (٢٠٠٣): ١١١-١١٤.
- كتاب طبقات المشائخ بالمغرب، لأبي العباس أحمد

- مصادر ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد، أعمال الملتقى الأول لتاريخ وحضارة المغرب، لإحسان عباس، تونس ١٩٧٩: ١١٢-١٢٩.
- المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والمغرب، لأحمد بن يحيى الونشريسي (ت ١٥٠٨/٩١٤)، نشر عبد الرحمن حجي وآخرين، ج ١١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٢م.
- المغرب الإسلامي من بناء معسكر القرن حتى نهاية ثورات الخوارج، لموسى لقبال، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ١٩٨١م.
- العبر في خبر عبر، لشمس الدين الذهبي (ت ١٢٤٧/٧٨٤) نشر قراد سيد، الكويت، ١٩٦١م.
- الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ١١٥٣/٤٥٨)، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨١م.
- وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية، لبكير بن سعيد أوعشت، المطبعة العربية، غرداية، ١٩٩١م.
- الدرجيني (ت ١٢٧١/٦٧٠) نشر إبراهيم طلاي، قسنطينة، ١٩٦٤م.
- كتاب السير، لأبي العباس أحمد بن سعيد الشماخي (ت ١٥٢١/٩٢٨)، طبعة حجرية، قسنطينة، ١٨٨٢م.
- كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر، لعبد الرحمن ابن خلدون (ت ١٤٠٦/٨٠٨)، مؤسسة جمال للنشر، ج ٦، بيروت.
- كتاب المقالات، لأبي القاسم عبد الله البلخي (ت ٩٣١/٣١٩)، تج. فؤاد سيد، في مجموع كتاب فضائل الاعتزال وطبقات المعتزلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الدار التونسية للنشر، الجزائر، ١٩٨٦م.
- المجالس والمسائرات، للقاضي النعمان بن محمد (ت ٩٧٤/٣٦٣)، نشر محمد الحبيب هيلة وآخرين، جامعة تونس، تونس، ١٩٧٨.
- المسالك والممالك، لأبي عبيد البكري (ت ١٠٩٤/٤٨٧)، نشر للجزء الخاص بالمغرب دوسلان، ط ٢، المغرب في ذكر بلاد المغرب إفريقية والمغرب، فرانكفورت، ١٩٩٣م.

### المراجع الأجنبية:

- \* Amara Allaoua, Pouvoir, économie et société dans le Maghreb hammadide (395-547/1004-1152), Thèse de doctorat, Université Paris Sorbonne, 2002, 2 vol.
- \* Brett (Michael), The Rise of the Fatimids, The world of the Mediterranean and the Middle East in the Fourth Century of the Hijra, Tenth Century C E, Leyde-Boston-Koln, Brill, 2001.
- \* Canard (Marius), "Une famille de partisans, puis d'adversaire des fatimides en Afrique du Nord" dans Mélanges d'histoire et d'archéologie de l'Occident musulman (Hommage a Georges Marcais), Paris, Imprimerie officielle, 1957, vol. II, p.33-49.
- \* Despois (Jean), "Ghardaya" dans Encyclopédie de l'Islam, nouvelle édition, Leyde, Brill, vol. II, p. 1033-1034.
- \* Gimaret (Daniel), "Les Usul al-khamsa du Qadi Abd al-Gabbar et leurs commentaires" dans Annales islamologique, XV, (1947) p. 47-96.
- \* Idris (Hady Roger), "Contribution a l'histoire de la vie religieuse en ifriqiya ziride X-XIe siècle" dans Melange Louis Massignon, Damas, Institut Français de Damas, 1957, vol.II, p.327-359.
- \* Id, "Essai sur la diffusion de l'as arisme en Ifriqiya" dans Cahiers de Tunisie., 2, (1953) p. 126-140.
- \* Id, "L'aube du Malekisme ifriqien" dans Studia Islamica, XXXIII (1971), p. 19-40.
- \* Laoust (Henri), "La classification des sectes dans la farq d'al-Baghdadi" dans Revues des études islamiques, XXIX-1, (1961) p. 19-69.
- \* Le tourneau (Roger), "La revolte d'Aby Yazid au Xe siècles" dans Cahiers de Tunisie, II (1953), p.103-125.
- \* Madelung (Wilfred), "The religion Policy of the Fatimids toward their Sunni Subjects in the Maghreb" dans l'Egypte Fatimide, son art et son histoire, actes du colloque organize a Paris les 28, 29 et 30 mai 1998, Paris, Presses de l'Université de Paris-Sorbonne, 1999, p.97-101.
- \* Mercier (M), "Mzab" dans Encyclopédie de l'Islam, nouvelle Edition, Leyde, Brill, vol.VII, p. 827-829.
- \* Talbi (Mohammed), L'Emirate aghlabide (184-296/800-909), histoire politique, Paris, Librairie d'Amérique et d'Orient Andreien Maison neuve, 1966.
- \* Id, "Kairouan et le Malikisme espagnol" dans Etudes d'orientalisme dédiées a la mémoire de Levi-Provençal, Paris, 1962, reed. Dans Etudes d'histoire ifriqienne et de civilisation musulman medievale, Tunis, Publications de l'université de Tunis, 1982, p. 302-308.
- \* Id, "De l'itizal en Ifriqiya au III/IXe siècle" dans revue Tunisienne des sciences sociales, 40-43, (1975), p. 45-85.
- \* Touati (Houari), Islam et voyage au Moyen Age, Paris, Seuil, 2000.
- \* Vonderheyden (M.), La berberie orientale sous la dynastie des Benou l-Arlab (800-909), Paris, Librairie orientaliste Paul Geuthner, 1924.
- \* Zarouki (Brahim), L'Imamat de Tahart, premier état musulman du Maghreb (144-296 de l'heritage), Paris, l'Harmattan, 1987.